

تفسير سورة التكميم

لأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

والكفر كما هو معروف ، ضد
الإيمان ، ولكنه أيضا جحود
النعمة ، وبذلك يكون ضد
الشكر .

وجحود النعمة ، في أقوى
مظاهره ، كفران المنعم وعدم
الإيمان به ، ولكنه في مظاهره ،
الخفيفة الطينة ، يتمثل في كثير من
المؤمنين أيضا .

فهذا الذي يبدو باستمرار متافقا
من الفقر ، لا يذكر إلا هذا ،
ويستمر ما منحه الله من نعمة الصحة
ومن نعمة الأولاد ، أو من نعمة
الزوجة الحسنة الأخلاق ، هذا
الرجل كافر ، بمعنى :

أنه جاحد لما أسبغته الله عليه
من كثير من النعم ، غير شاكر
له ، غير ذاكر إلا لما يراه نعمة ،

وأسرار التنزيل ورموزه ، في
كل باب : بالغه من اللطف والخفاء
حدا يدق عن تفطن العالم ، ويند
عن تبصره ، الكشف .

يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم ، إنما تجزون ما كنتم تعملون ،
تتابع هذه الآية الآية التي سبقتها
في الحديث عن المسؤولية ، وإذا كانت
الآية السابقة فيها عموم ، من حيث
إنها تشمل جميع أنواع المعاصي
ماعدا الكفر ، وإذا كان الله تعالى
يخاطب فيها المؤمنين به : يا أيها
الذين آمنوا ، فإن هذه الآية التي
نحن بصدها الآن ، زجر عنيف
عن الكفر .

ويؤكد الإنسان - لأول وهله -
يعتقد أنها خاصة بالكفر الذي هو
ضد الإيمان وحده .

وقد يكون في الواقع فقره هذا
لحكمة تعلو على فهمه .

... إن الإنسان ليطغى أن
رآه استغنى ،

والغنى القوى صاحب الجاه ،
الذى لا أولاد له ، واذى لا يذكر
إلا أنه : لا أولاد له ، ناسيانعم الله
الآخرى عليه ، كافر .

وهكذا كل من يذكر ما يراه
ويعتقد أنه نقمة ، وينسى غيره من
النعم ، كافر ، بمعنى : جاحد بنعم
الله عليه .

ونوع آخر من الكفر ، هو
ضد الشكر . يتمثل في هذا الرجل
الغنى الذى بسط الله له فى الرزق
وهيا له أسباب الثراء العريض ،
فلما أتمته الدنيا خاضعة طائعة ،
استعملها فيما لا يرضى الله إياها فأنغمس
فى الملهيات المحرمة ، وأتى الموبقات
ومنع الزكاة ، ونام متخما . وترك
جاره فى خمصة ١١ . هذا الرجل
كافر بنعمة الله .

وذلك الذى أتاه الله الصحة
والعافية والقوة ، فاستعملها فى طريق
منحرف : كافر أيضا .

والكفر الذى هو ضد الإيمان
لا يدخل فى دائرته المسلمون ، ولكن
الكفر الذى بمعنى جحود النعمة
يتمثل فى المسلمين الذين كفروا
نعم الله ، كما يتمثل فى غيرهم .

ولنه لمن البين أن كثيرا من
المسلمين الآن ، كافر بالمعنى الثانى ،
ولا نريد أن نكثر الحديث فى ذلك
فالمسألة أظهر من أن يستفاض فى
الحديث عنها ، ويكفى أن ينظر كل
إنسان إلى نفسه ، وإلى من حوله ،
ليرى الكفر ضاربا بجرائه فى كل
مكان :

سيقال للكفار - على أى وضع
كانوا ، إذن ، يوم القيامة ، حينما
يوجهون إلى جهنم : لا تعتذروا
اليوم ، ، فجهم ، والعذاب الذى
ستجدونه فيها ألوانا ، إنما هو جزاء
عدل ، ونتيجة طبيعية لما كنتم تعملون
فى الدنيا من شرور وآثام :

قلنا فيما سبق : إن الإنسان يكاد
لأول وهلة ، يعتقد أن هذه الآية
خاصة بالكفر الذى هو ضد
الإيمان ، ومع ذلك فإنه إذا أنعم
النظر فيها يجد أنها فى عموم أنواع
الكفر ؛ ذلك أن الله سبحانه وتعالى
يقول : « إنما تجزون ما كنتم
تعملون » .

هى ، إذن ، تشمل الناحية المتصلة
بالقلب : ، الإلحاد ، وتشمل جمود
النعمة ، وتشمل استعمال النعمة فيما
لا يرضى الله ، وهى على هذا الوضع
موجهة إلى الناس جميعا .

على أن القرآن الكريم يطلق على
الكفر بالمعنى الثانى ، أنه تكذيب
بالدين ، يقول الله تعالى :

« أرايت الذى يكذب بالدين ؟

فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض
على طعام المسكين !

وبحسب التوجيه القرآنى ، إذن ،
لا يخرج الإنسان من دائرة
الكفر بمعناه العام ، إلا إذا تمثل فيه
أمران :

١ - الاعتقاد القلبي بالله ،
وملائكته ، وكتبه ، ورسله ،
واليوم الآخر :

٢ - شكر نعمة الله تعالى ،
سواء كانت ثراء ، أو أولادا نجباء
أو صحة وعافية ، أو غير ذلك .

وتوجيه هذه الأمور واستعمالها
فيها يرضى الله : هو الشكر .

وبالله التوفيق .

عبد الحليم محمود

* * *

نداء

من مشيخة الطرق الصوفية

إلى الأمة العربية

لإنقاذ العراق من جلاديه

أدع سماحة السيد محمد محمود عارف — شمع مشايخ الطرق الصوفية البيان
التالى الذى نشرته مجلة الإذاعة وصحافة العربية فى كل مكان

أو حاسمة فى تقرير مصير المعركة ،
بل أصبح من واجب الحكومات
العربية أن تتخذ موقفا إيجابيا جماعيا
لإنقاذ العراق من جلاديه ، ومهرق
دمه ، ومخطمى وحدته ، وواجب
الشعوب العربية أن تهب لنجدة إخوانهم
فى العراق وأن تطالب بحكوماتها
ملحة فى إنقاذ الشعب العراقى فى محنته
المدمرة .

هنا هو واجبنا المقدس اليوم .
وهذا هو الجهاد المقدس الذى نوجه
الاخوة العربية ، ومستقبل العروبة
المشترك . بل هذا هو الجهاد الذى
يرضى عنه الله ويباركه ويؤيده . والله
فى عون العبد ما دام العبد فى عون
أخيه . والله ولى التوفيق وناصر
المؤمنين .

إن معركة الحرية والقومية العربية
الدائرة الرحى الآن فى العراق ليست
معركة العراق وحده بل هى معركة
العالم العربى كافة .

فالنكسة الرجعية البربرية التى
أغرقت العراق فى حمامات الدم الرهيبة
تشكل خطراً على الكيان العربى ،
والنهضة العربية المتحررة ، وتشكل
خطراً أكبر على مقدراته وعقائده
وميراثه الروحى العالمى .

إن مستقبل الأمة العربية ورسالتها
فى المحيط الدولى أعظم من أن يترك
لعصبة آئمة خائفة ، تدمره وتخطمه ،
وتشعل فيه النار والدمار .

ولقد وصلت المعركة المتهبة إلى حافة
الهاوية ، فلم تعد الاحتجاجات الجماعية
والفردية من أبناء العالم العربى مجدية